

يَقِينُ الْخَلَاصِ
المحاضرة ٦: مَصْدَرُ الْيَقِينِ الْكَامِلِ
أر. بي. سرول

نَصِلُ الْآنَ إِلَى مُحَاضَرَتِنَا الْأَخِيرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّلْسِلَةِ حَوْلَ التَّيَقُّنِ مِنَ الْخَلَاصِ. فِي الْمَحَاضَرَةِ السَّابِقَةِ، رَأَيْنَا مَدَى أَهْمِيَّةِ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا لَاهُوتٌ سَلِيمٌ بِشَأْنِ الْخَلَاصِ، وَلَاهُوتٌ سَلِيمٌ بِشَأْنِ الْإِخْتِيَارِ، لِكَيْ نَبْنِيَّ يَقِينَنَا عَلَى أَسَاسِهِ. وَفِي نَهَايَةِ تِلْكَ الْمَحَاضَرَةِ، ذَكَرْتُ أَنَّ أَهَمَّ مَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِرُمَّتِهَا هُوَ فَهْمُ عَمَلِ الرُّوحِ فِي دَاخِلِنَا، وَهُوَ مَا تُسَمِّيهِ التَّجْدِيدَ أَوْ الْوَلَادَةَ الْجَدِيدَةَ.

فِي اسْتِظْلَاعَاتِ الرَّأْيِ الَّتِي يُجْرِيهَا دَائِمًا جَالُوبُ (Gallup) وَجُورْجُ بَارْنَا (George Barna) وَغَيْرُهُمَا، يَبْدُو أَنَّ أَكْثَرَ مِنْ سِتِّينَ مِليُونِ أَمْرِيكِيِّ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ مَوْلُودُونَ مِنْ جَدِيدٍ. إِنْ كُنْتَ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ السِّتِّينَ مِليُونِ دَعْنِي أَطْرَحُ عَلَيْكَ سُؤَالَ: "بِرَأْيِكَ، مَا مَعْنَى أَنْ تَكُونَ مَوْلُودًا مِنْ جَدِيدٍ؟" نَحْنُ نَطْرَحُ هَذَا السُّؤَالَ عَلَى الْمَسِيحِيِّينَ الْمُعْلِنِينَ لِإِيمَانِهِمْ، فَيُجِيبُ كَثِيرُونَ بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمَوْلُودَ مِنْ جَدِيدٍ هُوَ إِنْسَانٌ اتَّخَذَ قَرَارًا عَلَى الطَّرِيقَةِ الْإِنْجِيلِيَّةِ"، أَوْ "الْإِنْسَانُ الْمَوْلُودُ مِنْ جَدِيدٍ هُوَ مَنْ رَدَّدَ الصَّلَاةَ الْخَلَاصِيَّةَ". لَا، فَمِنَ الْمُمَكِنِ الْقِيَامُ بِإِعْلَانِ الْإِيمَانِ مِنْ دُونِ أَنْ تُوَلَدَ مِنْ جَدِيدٍ - هَذَا مَا رَأَيْنَاهُ سَابِقًا فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ. قَالَ يَسُوعُ إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ خَاصَّتُهُ، وَسَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُ، وَسَيَكْرِمُونَهُ بِشَفَاهِهِمْ لَكِنَّ قُلُوبَهُمْ بَعِيدَةٌ عَنْهُ. الْوَلَادَةُ الْجَدِيدَةُ تَعْنِي أَنْ تَكُونَ قَدْ تَغَيَّرْتَ مِنْ خِلَالِ عَمَلِ اللَّهِ الرُّوحِ الْقُدُسِ الْفَائِقِ لِلطَّبِيعَةِ.

رَأَيْنَا فِي الْأَصْحَاحِ ٢ مِنْ رِسَالَةِ أَفَسَسِ التَّنَاقُصَ الْكَبِيرَ بَيْنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ يُحْيِيكَ الرُّوحُ الْقُدُسُ وَالْحَيَاةَ بَعْدَ أَنْ يُحْيِيكَ الرُّوحُ الْقُدُسُ. فَقَبْلَ التَّجْدِيدِ، نَحْنُ نَسْلُكُ بِحَسَبِ دَهْرِ هَذَا الْعَالَمِ، وَبِحَسَبِ رَيْسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، مُتَمِّينَ شَهَوَاتِ الْجَسَدِ بِحُكْمِ طَبِيعَتِنَا - هَذِهِ هِيَ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ السَّاقِطِ الَّذِي لَمْ يُوَلَدَ مِنْ جَدِيدٍ.

إِذَا الْآنَ، عَلَيْنَا أَنْ نَطْرَحَ هَذَا السُّؤَالَ: مَا الَّذِي يَحْدُثُ؟ مَا هُوَ التَّغْيِيرُ الَّذِي يَحْدُثُ بِفِعْلِ عَمَلِ الرُّوحِ فِي نُفُوسِنَا أَوْ فِي قُلُوبِنَا؟ أَيْضًا، إِنَّ جُزْءًا مِنَ الْجَدَلِ حَوْلَ التَّجْدِيدِ يَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ أَوْجِهٍ الْإِخْتِلَافِ فِي فَهْمِنَا لِلخَطِيئَةِ الْأَصْلِيَّةِ. يُؤْمِنُ جَمِيعُ الْمَسِيحِيِّينَ الْمُعْلِنِينَ لِإِيمَانِهِمْ بِأَنَّ السُّفُوطَ تَمَّ، وَأَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا خَاطِئًا فِي تَكْوِينِ طَبِيعَتِنَا، وَبِأَنَّنا فِعْلًا خَلِيقَةٌ سَاقِطَةٌ وَقَاسِدَةٌ، لَكِنَّ تَوَجُّدَ اخْتِلَافَاتٍ شَاسِعَةٍ فِي الرَّأْيِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِدَرَجَةِ السُّفُوطِ وَبِدَرَجَةِ الْفَسَادِ الْأَخْلَاقِيِّ النَّاتِجِ مِنَ السُّفُوطِ. يُؤْمِنُ بَعْضُ الْمَسِيحِيِّينَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ سَقَطَ فِعْلًا، لَكِنَّ لَا يَزَالُ يُوجَدُ فِي النَّفْسِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ فَسَادِهَا مَا أَسَمِيَهُ دَرَّةً بَرًّا لَمْ تَتَأَثَّرْ بِالسُّفُوطِ. وَمِنْ خِلَالِ دَرَّةٍ الْبَرِّ هَذِهِ لَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ يَمْلِكُ الْقُوَّةَ عَلَى التَّعَاوُنِ مَعَ

عَرَضَ اللهُ لِلنِّعْمَةِ أَوْ الْإِمْتِنَاعِ عَنِ ذَلِكَ. وَحَتَّى قَبْلَ أَنْ يَتَجَدَّدَ، حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ هَذَا الْإِحْيَاءُ، لَا تَزَالُ تُوجَدُ ذَرَّةُ قُوَّةٍ فِي دَاخِلِهِمْ.

لِكَيْ لَا أَحَدُ ذَلِكَ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَعِنْدَمَا أَقْرَأُ مَا يَقُولُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنِ حَالَةِ طَبِيعَتِنَا، فَإِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يَسْتَعْمِلُ عِبَارَاتٍ مِثْلَ "نَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطِيئَةِ"، "نَحْنُ مُسْتَعْبِدُونَ لِلْخَطِيئَةِ"، "نَحْنُ أَبْنَاءُ الْغَضَبِ بِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ"، "نَحْنُ لَا نُرِيدُ اللَّهَ فِي فِكْرِنَا". وَقَدْ فَهَمْنَا ذَلِكَ عَبْرَ التَّارِيخِ كَمَا يَلِي: الْإِنْسَانُ غَيْرُ الْمُتَجَدِّدِ مُنْحَرِفٌ أَخْلَاقِيًّا عَنِ اللَّهِ. بِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ، يَقُولُ لَنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّنَا فِي عِدَاوَةٍ. وَالْعِدَاوَةُ وَصْفٌ لِمَوْقِفِ عِدَائِي فِي الْجَسَدِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْتِجَ شَيْئًا سِوَى الْخَطِيئَةِ - نَحْنُ فِي عِدَاوَةٍ مَعَ اللَّهِ. هَذَا لَا يَصِفُ أَفْعَالَنَا فَحَسْبُ، بَلْ يَصِفُ أَعْمَقَ تَوَجُّهَاتِ قُلُوبِنَا. وَهَذَا مَا نُسَمِّيهِ فِي اللَّاهُوتِ "مَيُولَ التَّنْفِيسِ" أَوْ "تَزَعَةَ التَّنْفِيسِ". فَقَبْلَ أَنْ نَتَجَدَّدَ، وَقَبْلَ أَنْ نُؤَلِّدَ مِنْ جَدِيدٍ، كُنَّا نَنْفِرُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ، وَكُنَّا نَكْرَهُ أُمُورَ اللَّهِ، لَيْسَتْ لَدَيْنَا آيَةٌ مَحَبَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ لِلْمَسِيحِ، وَلَا نَكُنُ آيَةً مَحَبَّةٍ لِلَّهِ فِي قُلُوبِنَا.

عَلَى الصَّعِيدِ الْعَمَلِيِّ، يَأْتِي النَّاسُ إِلَيَّ دَائِمًا وَهُمْ يُصَارِعُونَ بِشَأْنِ مَسْأَلَةِ يَقِينِ الْخَلَاصِ. وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي بَرَامِجٍ أُخْرَى وَفِي سَلْسِلٍ أُخْرَى لِكَيْ سَأَذْكُرَهُ مُجَدِّدًا. يَسْأَلُنِي أَحَدُهُمْ: "كَيْفَ أَعْلَمُ أَنِّي مُخَلَّصٌ؟" فَأُجِيبُ عَبْرَ طَرَحِ ثَلَاثَةِ أَسْئَلَةٍ. أَسْأَلُهُ: "أَوَّلًا، هَلْ تُحِبُّ يَسُوعَ مَحَبَّةً كَامِلَةً؟" وَكُلُّ إِنْسَانٍ طَرَحْتُ عَلَيْهِ هَذَا السُّؤَالَ يُجِيبُ بِصَرَاحَةٍ: "لَا، لَا أَفْعَلُ". لِدَا، هُوَ لَيْسَ مُتَأَكِّدًا مِنْ حَالَةِ نَفْسِهِ. هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُوجَدُ قُصُورٌ فِي مَحَبَّتِهِ لِلْمَسِيحِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَسِيحَ مَحَبَّةً كَامِلَةً فَإِنَّهُ كَانَ لِيُطِيعَهُ طَاعَةً كَامِلَةً. يَقُولُ يَسُوعُ: "مَنْ يُحِبُّنِي، يَحْفَظُ وَصَايَايَ". إِذَا، مَا إِنْ أَكْسِرَ وَاحِدَةً مِنْ وَصَايَاهُ فَهَذِهِ عِلْمَةٌ لِي عَلَى أَنِّي لَا أُحِبُّهُ مَحَبَّةً كَامِلَةً. إِذَا، لَا أَتَفَاجَأُ عِنْدَمَا يَقُولُ لِي مُؤْمِنٌ حَقِيقِيٌّ "لَا، أَنَا لَا أُحِبُّهُ مَحَبَّةً كَامِلَةً"، فَأَقُولُ لَهُ: "هَلْ تُحِبُّهُ بِقَدْرِ مَا يَجِبُ أَنْ تُحِبَّهُ؟" فَيَنْظُرُ إِلَيَّ بِاسْتِغْرَابٍ وَيُجِيبُ "لَا، بِالطَّبَعِ لَا". فَإِنْ كَانَ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ سَلْبِيًّا فَلَا بُدَّ لِلْجَوَابِ عَنِ السُّؤَالِ الثَّانِي مِنْ أَنْ يَكُونَ سَلْبِيًّا، لِأَنَّهُ يُفْتَرَضُ بِنَا أَنْ نُحِبُّهُ مَحَبَّةً كَامِلَةً لِكَيْتَنَا لَا نَفْعَلُ. هُنَا يَظْهَرُ الصِّرَاعُ الَّذِي تُخْتَبِرُهُ بِشَأْنِ خَلَاصِنَا.

وَالآنَ، دَعُونِي أَتَطَّرِقُ إِلَى السُّؤَالِ الثَّلَاثِ. أَقُولُ لَهُ: "اسْمَعْنِي، هَلْ تَكُنُ آيَةً مَحَبَّةٍ لِلْمَسِيحِ؟ هَلْ تَكُنُ لَهُ آيَةً مَحَبَّةٍ؟" قَبْلَ أَنْ تُجِيبَ عَنِ هَذَا السُّؤَالِ، أَنَا أَسْأَلُكَ: "هَلْ تُحِبُّ مَسِيحَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ؟ الْمَسِيحَ الَّذِي تَتَقَابَلُ مَعَهُ فِي صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ؟" أَنَا أَقُولُ هَذَا لِلْسَّبَبِ الْآتِي: مُنْذُ سَنَوَاتٍ عِدَّةٍ، عَلَّمْتُ فِي مَعْهَدِ يَانِجِ لَآيْفِ (Young Life Institute) فِي مَدِينَةِ كُولُورَادُو سَبْرِينْجَز، بِوَلَايَةِ كُولُورَادُو. وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، خَدَمْتُ كَثِيرًا مَعَ خِدْمَةِ يَانِجِ لَآيْفِ وَلِصَالِحِهَا، وَكُنْتُ أَكُنُّ احْتِرَامًا كَبِيرًا لِلْخِدْمَةِ الْكِرَازِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا هَذِهِ الْهَيْئَةُ. عِنْدَمَا كُنْتُ أُدْرَبُ خُدَامًا فِي كُولُورَادُو، قُلْتُ: "دَعُونِي أَحَدِّرُكُمْ مِنْ خَطَرٍ كَبِيرٍ يُحْدِقُ بِهَذِهِ الْخِدْمَةِ. دَعُونِي أَقُولُ أَوَّلًا لِي لَا أَعْرِفُ شَخْصِيًّا آيَةً

خِدْمَةٌ لِلأَوْلَادِ الصِّغَارِ فِي العَالَمِ أَكْثَرَ فاعِلِيَّةً فِي التَّعَامُلِ مَعَ الأَوْلَادِ والمُشَارَكَةِ فِي مَشَاكِلِهِمْ، والمُشَارَكَةِ فِي هُمُومِهِمْ، وَفِي خِدْمَةِ الأَوْلَادِ أَيًّا تَكُنْ حَالُهُمْ، وَمَعْرِفَةَ كَيْفِيَّةِ حَمْلِهِمْ عَلَى التَّجَاوُبِ". قُلْتُ: "هَذَا أعْظَمُ مَوْطِنِ قُوَّةٍ فِي هَذِهِ المُنْظَمَةِ، لَكِنَّهُ أَيضًا أَقْوَى نُقْطَةً ضَعِيفٍ لَدَيْكُمْ". قُلْتُ: "لِأَنَّ خِدْمَةَ يَانِجٍ لَا يَفِ تَجَعُلُ المَسِيحِيَّةَ جَدَابَةً جَدًّا لِلأَوْلَادِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ يَسْهُلُ عَلَى الأَوْلَادِ الإِهْتِدَاءُ إِلَى خِدْمَةِ يَانِجٍ لَا يَفِ مِنْ دُونِ أَنْ يَهْتَدُوا إِلَى المَسِيحِ".

لِهَذَا السَّبَبِ، حِينَ سَأَلْتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَكُونُونَ آيَةً مَحَبَّةٍ لِلْمَسِيحِ أَنَا لَمْ أَسْأَلْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ المَسِيحَ بَطَلِ الصِّغَارِ، أَوْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ المَسِيحَ الَّذِي هُوَ رَمَزٌ لِلأَهْوِيَّةِ التَّحْرِيرِ أَوْ المَعْلَمِ الأَخْلَاقِيِّ لِلْيَبْرَالِيَّيْنِ. أَنَا أَسْأَلْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ المَسِيحَ الَّذِي يَظْهَرُ فِي صَفَحَاتِ الكِتَابِ المَقْدَسِ. وَإِنْ سَأَلْتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ أَوْلَادَكُمْ فَسَتَعْلَمُونَ إِنْ كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ أَوْ لَا تَفْعَلُونَ، فَأَنَا أَسْأَلْكُمْ عَنْ أَمْرٍ مُتَعَلِّقٍ بِمَشَاعِرِكُمْ، أَنَا أَسْأَلْكُمْ عَنْ مُيُولِكُمْ، أَنَا أَسْأَلْكُمْ عَنْ نَزَعَتِكُمْ، أَنَا أَسْأَلْكُمْ عَنْ مُيُولِ قُلُوبِكُمْ. وَالأَمْرُ سَيَّانٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَكُونُونَ آيَةً مَحَبَّةٍ لِلْمَسِيحِ؟

إِنْ أَجَبْتُمْ "نَعَمْ" عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، فَهَذَا يَأْتِي دَوْرُ اللأَهْوِيَّةِ. أَنَا أَقُولُ: "هَلْ يُمَكِّنُ لِإِنْسَانٍ غَيْرٍ مُتَجَدِّدٍ أَنْ يَكُنَّ آيَةً مَحَبَّةٍ صَادِقَةٍ لِلْمَسِيحِ؟" جَوَابِي هُوَ "لَا". فَهَذِهِ المَحَبَّةُ لِلْمَسِيحِ نَاتِجَةٌ عَنْ عَمَلِ الرُّوحِ، لِأَنَّ هَذَا مَا يَفْعَلُهُ الرُّوحُ عِنْدَمَا يُحْيِينَا، هَذَا هُوَ جَوْهَرُ التَّجْدِيدِ، اللهُ الرُّوحُ القُدُّسُ يُعَيِّرُ مُيُولَ نَفْسِكَ، وَيُعَيِّرُ اتِّجَاهَ قَلْبِكَ وَنَزَعَتَهُ بِحَيْثُ إِنَّكَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ سَابِقًا بَارِدًا تُجَاهَ أُمُورِ اللهِ وَعِدَائِيًّا لَهَا وَغَيْرَ مُبَالٍ -وهَذَا أَسْوَأُ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ العِدَائِيَّةِ- وَلَمْ تَكُنْ لَدَيْكَ آيَةٌ مَحَبَّةٍ صَادِقَةٍ لِأُمُورِ اللهِ لِأَنَّكَ كُنْتَ فِي الجَسَدِ، وَالجَسَدُ لَا يُحِبُّ أُمُورَ اللهِ. فَمَحَبَّةُ اللهِ تَتَقَدُّ مِنْ خِلَالِ قُوَّةِ الرُّوحِ القُدُّسِ المُجَدَّدَةِ الَّتِي تَسْكُبُ مَحَبَّةَ اللهِ فِي قَلْبِكَ بِفَيْضٍ. إِذَا، إِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقُولَ لِي أَنَّ مَحَبَّةَ لِلْمَسِيحِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنِّي أُدْرِكُ أَنِّي لَا أُحِبُّهُ كَمَا يَنْبَغِي وَأَنِّي لَا أُحِبُّهُ مَحَبَّةً كَامِلَةً، إِنْ كُنْتُ أَكُنُّ لَهْ آيَةً مَحَبَّةٍ كَانَتْ فَهَذَا يُؤَكِّدُ لِي أَنَّ الرُّوحَ قَامَ بِهَذَا العَمَلِ المُعَيِّرِ فِي نَفْسِي، لِأَنِّي لَا أَمْلِكُ فِي جَسَدِي آيَةً قُوَّةٍ لِأَنَّ آيَةَ مَحَبَّةٍ صَادِقَةٍ لِيَسُوعَ المَسِيحِ.

ثُمَّ نَظَرِيَّاتٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالتَّجْدِيدِ لَا تُعْطِيكَ هَذَا التَّوَعُّدَ مِنَ اليَقِينِ. إِحْدَى نَظَرَاتِ التَّجْدِيدِ الأَكْثَرِ شَعْبِيَّةً فِي العَالَمِ الإِنْجِيلِيِّ كُلِّهِ اليَوْمَ هِيَ تِلْكَ النَظَرَةُ الَّتِي تَقُولُ إِنَّ مَا يَحْدُثُ أَثْنَاءَ التَّجْدِيدِ هُوَ بَسَاطَةٌ أَنَّ الرُّوحَ القُدُّسَ يَأْتِي إِلَى حَيَاتِكَ وَيَسْكُنُ فِيكَ. لَكِنْ حَتَّى بَعْدَ ذَلِكَ، بَعْدَ التَّجْدِيدِ، عَلَيْكَ أَنْ تَتَجَاوَبَ مَعَ الرُّوحِ القُدُّسِ، عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَاوَنَ مَعَ الرُّوحِ القُدُّسِ، عَلَيْكَ أَنْ تَسْأَلَهُ أَنْ يَمْلَأَكَ وَأَنْ تُسَلِّمَهُ حَيَاتَكَ، لِأَنَّهُ مِنَ المُمْكِنِ لَكَ أَنْ تَكُونَ مُتَجَدِّدًا، وَأَنْ يَسْكُنَ الرُّوحُ القُدُّسُ فِيكَ، وَأَنْ تَكُونَ مُؤْمِنًا، لَكِنْ قَدْ تَكُونَ مُؤْمِنًا جَسَدِيًّا لَا يَأْتِي أَبَدًا بِأَيِّ نَمْرِ طَاعَةٍ. وَمِنْ مَنَظَرِي اللأَهْوِيَّةِ، نَحْنُ نَقُولُ إِنَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا وَصْفٌ لِلْمُؤْمِنِ الجَسَدِيِّ، عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُ العَهْدُ الجَدِيدُ عَنْ كَوْنِ الإِنْسَانِ جَسَدِيًّا فَهَذَا يَعْنِي أَنَّنَا نَبْدَأُ جَسَدِيَّيْنِ تَمَامًا، وَنَكُونُ فِي الجَسَدِ. وَحِينَ يُعَيِّرُ اللهُ الرُّوحَ القُدُّسُ مُيُولَ قُلُوبِنَا فَهُوَ لَا يُبْطِلُ الجَسَدَ، فَالْبُعْدُ الجَسَدِيُّ يَظَلُّ يُجَارِبُنَا. الجَسَدُ يُصَارِعُ ضِدَّ الرُّوحِ طِيلَةَ حَيَاتِنَا. وَفِي بَعْضِ الأَحْيَانِ،

نَكُونُ جَسَدِيَّينَ كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا - لَا جَدَلٍ فِي هَذَا الشَّانِ. لَكِنَّ إِنْ كُنْتَ تَقْصِدُ بِالْمُؤْمِنِ الْجَسَدِيِّ الشَّخْصَ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ فِي مَحْضَرِ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَأَنْتَ لَا تَتَكَلَّمُ عَنِ الْمُؤْمِنِ، أَنْتَ تَتَكَلَّمُ عَنِ إِنْسَانٍ غَيْرٍ مُتَجَدِّدٍ. أَنَا أَرَفُضُ نَظْرِيَّةَ التَّجْدِيدِ هَذِهِ فِي الْحَالِ، لِأَنَّهَا لَا تَتَضَمَّنُ تَجْدِيدًا. لِأَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ دُخُولِ الرُّوحِ الْقُدُسِ إِلَى حَيَاةِ الْمَرْءِ، إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِعَمَلِ النِّعْمَةِ الْفَائِقِ لِلطَّبِيعَةِ الَّذِي يُغَيِّرُ مَبُيُولَ النَّفْسِ، أَيْ أَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ تَبْقَى بِالْحَالَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ هَذَا الْأَمْرُ. لَئِنْ مِنَ الْمُهَمِّ أَنْ نُذْرِكَ أَنَّ التَّجْدِيدَ أَمْرٌ يَقُومُ بِهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهُوَ يُجَدِّدُكَ حَقًّا وَفِعْلِيًّا، إِنَّهُ يُغَيِّرُ مَبُيُولَ قَلْبِكَ، وَيُغَيِّرُ مَبُيُولَ نَفْسِكَ. وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ مُتَجَدِّدًا فِعْلًا وَكَانَ يُظْهِرُ إِيمَانَهُ، فَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ لِهَذَا الْإِنْسَانِ أَلَّا يَأْتِيَ بِشَمْرٍ وَأَلَّا يَسْلُكَ بِنَوْعٍ مِنَ الطَّاعَةِ.

رَأَيْنَا أَنَّ التَّجْدِيدَ عَمَلُ الرُّوحِ الْقُدُسِ، تَتَغَيَّرُ مَبُيُولُ النَّفْسِ مِنْ خِلَالِهِ. لَكِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَا يُغَيِّرُنَا فَحَسَبُ فِي إِطَارِ عَمَلِ التَّجْدِيدِ هَذَا، بَلْ إِنَّهُ يَفْعَلُ أَيْضًا أُمُورًا أُخْرَى مُهِمَّةً لِيَقِينِنَا، دَعَوْنِي أَنْظُرَ إِلَى الْبَعْضِ مِنْهَا. فَلِنَأْخُذْ رِسَالَةَ كُورِنْثُوسَ الثَّانِيَّةَ، الْأَصْحَاحَ ٥ وَالآيَةَ ٥، دَعَوْنِي أَرْجِعْ قَلِيلًا إِلَى الْوَرَاءِ، إِلَى بَدَايَةِ هَذَا الْأَصْحَاحِ:

لَأَنَّنا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ حَيَمَتِنَا الْأَرْضِيِّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللَّهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدِ، أَبَدِيٌّ. فَإِنَّنا فِي هَذِهِ أَيْضًا نَبْنِي مُسْتَقَاتِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكِنَتَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ. وَإِنْ كُنَّا لَا لِبَسِينِ لَا نُوجَدُ عَرَاءً. فَإِنَّنا نَحْنُ الَّذِينَ فِي الْحَيَمَةِ نَبْنِي مُثْقَلِينَ، إِذْ لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نُخْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا، لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ.

وَالآنَ اسْمَعُوا هَذَا جَيِّدًا: "وَلَكِنَّ الَّذِي صَنَعْنَا لِهَذَا عَيْنِهِ هُوَ اللَّهُ، الَّذِي أَعْطَانَا أَيْضًا عَرَبُونَ الرُّوحِ".

فِي تَرْجَمَاتٍ أُخْرَى لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لَا يَتَكَلَّمُ الْكِتَابُ عَنْ عَرَبُونَ الرُّوحِ فَحَسَبُ، بَلْ عَمَّا يُعْرَفُ بِضَمَانَةِ الرُّوحِ. تَأْتِي هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْعَالَمِ التَّجَارِيِّ لَدَى الْيُونَانِيِّينَ الْقَدَامَى. وَالْيَوْمَ لَا تُسْمَعُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِلَّا فِي إِطَارِ الْعَمَلِ الْعَقَارِيِّ. إِنْ كُنْتَ مُهْتَمًّا بِشَرَاءِ مَنْزِلٍ وَأَرَدْتَ التَّوَقُّعَ عَلَى الْعَقْدِ الْأَوْثِيِّ، لِكَيْ يَتَرَجَعَ الْمَالِكُ عَنْ عَرْضِ الْمَنْزِلِ لِلْبَيْعِ فَهُوَ يَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُعْطِيَهُ مَا يُسَمِّيهِ الْبَعْضُ مُقَدَّمِ ثَمَنِ الْمَنْزِلِ، أَوْ مَا يُسَمِّيهِ آخَرُونَ عَرَبُونَ. لِأَنَّهُ لَا يُرِيدُ التَّعَامُلَ مَعَ أَشْخَاصٍ يَتَلَاَعَبُونَ بِشَأْنِ شَرَاءِ الْمَنْزِلِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَشْخَاصًا جَادِينَ فِي الْأَمْرِ، إِنَّهُ يُرِيدُ أَشْخَاصًا جَادِينَ. وَالْفِكْرَةُ الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هِيَ أَنَّهُ حِينَ يُجَدِّدُنَا الرُّوحُ فَهُوَ لَا يُغَيِّرُ مَبُيُولَ قُلُوبِنَا وَنُفُوسِنَا فَحَسَبُ، وَإِنَّمَا هُوَ يُعْطِينَا الْعَرَبُونَ أَوْ الضَّمَانَةَ لِلدَّفْعَةِ الْأَخِيرَةِ وَالْكَامِلَةِ.

عِنْدَمَا أَشْتَرِي شَيْئًا مَا، يَجِبُ أَنْ أُعْطِيَ دَفْعَةً أُولَى. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ نَمَّةَ أَشْخَاصًا يُوقِعُونَ عُقُودًا كُلَّ يَوْمٍ وَيُعْطُونَ دَفْعَةً أُولَى، وَبَعْدَ أَنْ يُسَدِّدُوا بِضَعِ دَفْعَاتٍ يَتَقَاعَصُونَ عَنْ دَفْعِ الْأَقْسَاطِ. وَقَدْ يَتِمُّ الْحُجْرُ عَلَى مَنْزِلِهِمْ، أَوْ سَحَبُ سَيَّارَتِهِمْ

مِنْهُمْ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْفَظُوا شُرُوطَ الْعَهْدِ. مِنْ خِلَالِ الدُّفْعَةِ الْأُولَى، يَعِدُ الْمَرْءُ بِتَسْدِيدِ الْمَبْلَغِ كَامِلًا، لَكِنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ دَائِمًا. لَكِنَ عِنْدَمَا يُعْطِي اللَّهُ دُفْعَةً أُولَى لِشِرَاءِ شَيْءٍ مَا، فَإِنَّ هَذِهِ الدُّفْعَةَ الْأُولَى هِيَ كَلِمَتُهُ. إِنَّهَا وَعْدُهُ بِأَنْ يُسَدِّدَ الْمَبْلَغَ كَامِلًا. وَهَذِهِ هِيَ اللُّغَةُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا بُولُسُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ حِينَ يَقُولُ: "عِنْدَمَا تُؤَلِّدُ مِنَ الرُّوحِ، فَإِنَّ الرُّوحَ لَا يُغَيِّرُ قُلُوبَنَا وَنُفُوسَنَا وَإِرَادَتَنَا وَكُلَّ شَيْءٍ فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهُ يُعْطِي أَيْضًا عَهْدًا وَعَرَبُونًا بِتَثْمِيمِ مِلءِ خَلَاصِنَا". هَذَا مَا يَفْعَلُهُ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: "يُمْكِنُنِي أَنْ أَخْلُصَ الْيَوْمَ، وَأَنْ أَخْسَرَ خَلَاصِي عَدًّا"، إِنَّهُمْ يَتَجَاهَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ بِأَنْ يُتِمَّ مَا قَدْ بَدَأَهُ. إِنَّهُ يَدْفَعُ دُفْعَةً أُولَى، عِنْدَئِذٍ يُمْكِنُكَ أَنْ تَظْمِنَ لِأَنَّكَ تَضْمَنُ أَنَّهُ سَيُسَدِّدُ الدُّفْعَاتِ الْمُتَبَقِّيَةَ—هَذَا هُوَ أَسَاسُ يَقِينِنَا. أَيْضًا هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ الرُّوحِ الْقُدُسِ.

فَلِنَأْخُذْ مَثَلًا آخَرَ عَنِ الْأَمْرِ. فِي رِسَالَةِ كُورِنْثُوسِ الثَّانِيَةِ وَالْأَصْحَاحِ ١، ابْتِدَاءً مِنَ الْآيَةِ ١٥:

وَبِهَذِهِ الثَّقَّةِ كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ أَوَّلًا، لِتَكُونَ لَكُمْ نِعْمَةً ثَانِيَةً. وَأَنْ أَمُرَّ بِكُمْ إِلَى مَكِدُونِيَّةِ، وَآتِيَ أَيْضًا مِنْ مَكِدُونِيَّةِ إِلَيْكُمْ، وَأَشِيعَ مِنْكُمْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ. فَإِذَا أَنَا عَازِمٌ عَلَى هَذَا، أَلْعَلِّي اسْتَعْمَلْتُ الْحَقِيقَةَ؟ أَمْ أَعَزِمُ عَلَى مَا أَعَزِمُ بِحَسَبِ الْجَسَدِ، كَيْ يَكُونَ عِنْدِي نَعَمٌ نَعَمٌ وَلَا لَا؟ لَكِنَ أَمِينٌ هُوَ اللَّهُ، إِنَّ كَلَامَنَا لَكُمْ لَمْ يَكُنْ نَعَمٌ وَلَا. لِأَنَّ ابْنَ اللَّهِ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، الَّذِي كَرَّرَ بِهِ بَيْنَكُمْ بِوَسِطَتِنَا، أَنَا وَسِلْوَانُسُ وَتِيموثَاوُسُ، لَمْ يَكُنْ نَعَمٌ وَلَا [وَلَمْ يَكُنْ رَبَّمَا نَعَمٌ وَرَبَّمَا لَا] بَلْ قَدْ كَانَ فِيهِ نَعَمٌ. لِأَنَّ مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللَّهِ فَهُوَ فِيهِ "النَّعَمُ" وَفِيهِ "الْأَمِينُ"، لِمَجْدِ اللَّهِ، بِوَسِطَتِنَا.

كُلُّ وَعُودِ اللَّهِ لَنَا فِيهَا النَّعَمُ وَالْأَمِينُ. اللَّهُ لَا يَتَرَدَّدُ فِي وَعُودِهِ، اللَّهُ لَا يَقُولُ "نَعَمٌ وَلَا" أَوْ "رَبَّمَا". فَالرُّسُولُ بُولُسُ يَقُولُ هُنَا إِنَّ كُلَّ وَعُودِ اللَّهِ ثَابِتَةٌ بِفِعْلِ التَّأَكِيدِ الْإِلَهِيِّ مِنْ خِلَالِ الْوَعْدِ الْإِلَهِيِّ: "نَعَمٌ يُمْكِنُكَ أَخْذُ ذَلِكَ إِلَى الْبَنْكِ". ثُمَّ يَتَابِعُ قَائِلًا: "وَلَكِنَّ الَّذِي يُثَبِّتُنَا مَعَكُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَقَدْ مَسَحَنَا، هُوَ اللَّهُ"—اسْمَعُوا الْآنَ—"الَّذِي خَتَمَنَا أَيْضًا، وَأَعْطَى عَرَبُونَ الرُّوحَ فِي قُلُوبِنَا". هَا هِيَ مُجَدِّدًا. لَيْسَ لَدَيْنَا عَرَبُونَ الرُّوحِ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا يَقُولُ لَنَا بُولُسُ أَيْضًا، وَيُكْرِّرُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ لِاحِقًا فِي رِسَالَةِ أَفَسُسَ، إِنَّنَا خَتَمْنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ (الْكَلِمَةُ الْيُونَانِيَّةُ هِيَ "فِرَاجِيسُ" *phragis*)، الَّتِي تَعْنِي خَتَمَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.

شَاهَدْتُمْ الْأَفْلَامَ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى وَأَفْلَامَ الْحُكُومَاتِ الْمَلِكِيَّةِ عِنْدَمَا يَصْدُرُ مَرْسُومٌ عَنِ الْمَلِكِ، فَهُوَ يُخْرَجُ وَيَتِمُّ نَشْرُهُ فِي الْقَرِيَّةِ، وَفِي أَسْفَلِ الْإِعْلَانِ يُوجَدُ خَتَمٌ مُشَمَّعٌ مُضَافٌ إِلَى الْإِعْلَانِ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ تَوْقِيعَ الْمَلِكِ، وَقَدْ وَقَعَ الْمَلِكُ بِخَاتَمِهِ الْمُنْفُوشِ. لَدَى الْمَلِكِ خَاتَمٌ حُفِرَ فِي دَاخِلِهِ شَكْلٌ مُعَيَّنٌ، هُوَ عَلَامَةٌ تَوْقِيعِهِ. إِذَا، إِنْ كَانَتْ وَثِيقَةٌ مَا أَوْ إِعْلَانٌ مَا أَوْ مَرْسُومٌ مَا يَحْمِلُ خَتَمًا مُشَمَّعًا مِنْ خَاتَمِ الْمَلِكِ الْمُنْفُوشِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ هَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى صِحَّةِ

الْمَرْسُومِ. وَمَلِكُ الْكُونِ قَدْ وَضَعَ عِلَامَتَهُ الَّتِي لَا تُنْحَى عَلَى نَفْسٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ شَعْبِهِ، وَهُوَ لَا يُعْطِينَا الْعَرْبُونَ فَحَسَبُ، وَلَا التَّغْيِيرَ فِي مُيُولِ قُلُوبِنَا فَحَسَبُ، وَإِنَّمَا هُوَ يَخْتِمُنَا لِيَوْمِ الْفِدَاءِ.

أخيراً، في الأصحاح ٨ من رسالة رومية نقرأ الكلمات المشجعة، في الآية ٩ حيث كتب بولس:

وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللَّهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ. وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ. وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمْ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ. فَإِذَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ نَحْنُ مَدْيُونُونَ لَيْسَ لِلْجَسَدِ لِنَعِيشِ حَسَبِ الْجَسَدِ. لِأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ.

اسْمَعُوا مَا يَقُولُهُ هُنَا:

لَأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ، فَأَوْلِيكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَيُّنِ الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: "يَا أَبَا الْأَبِّ". الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لِأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلَادًا فَإِنَّنا وَرَثَةُ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ.

مَا نَسَعَى إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ حَيَاتِنَا وَقُلُوبِنَا وَثَمَرِ الرُّوحِ، وَمُرَاقَبَةِ التَّغْيِيرِ فِي حَيَاتِنَا، تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي نُحَاوِلُ أَنْ نَكُونَ مِنْ خِلَالِهَا صَادِقِينَ فِي تَقْيِيمِنَا لِمَا يَجْرِي فِي دَاخِلِنَا وَمِنْ خِلَالِنَا، فِي نِهَائَةِ الْمَطَافِ، أَسَاسُ يَقِينِنَا يَأْتِي مِنْ شَهَادَةِ اللَّهِ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي دَاخِلِنَا، حَيْثُ إِنَّ عَطِيَّةَ النِّعْمَةِ الَّتِي مِنَ الرُّوحِ هِيَ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَشْهَدُ لِأَرْوَاحِنَا فِي دَاخِلِنَا بِأَنَّنا أَوْلَادُ اللَّهِ.

أخيراً، كَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَةَ الرُّوحِ لِأَرْوَاحِنَا هِيَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَلَيْسَتْ مِنْ رُوحِ شَرِّيرٍ؟ كَيْفَ يُؤَكِّدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ لِقُلُوبِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ؟ الرُّوحُ الْقُدُسُ يَشْهَدُ لِأَرْوَاحِنَا مِنْ خِلَالِ الْكَلِمَةِ. وَكَلَّمَا ابْتَعَدْتُمْ عَنِ الْكَلِمَةِ ضَعَفَ الْيَقِينُ فِي حَيَاتِكُمْ، وَكَلَّمَا ثَبَّتُمْ فِي الْكَلِمَةِ، وَقَرَأْتُمْ كَلِمَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الرُّوحَ الَّذِي أَوْحَى بِالْكَلِمَةِ، الرُّوحَ الَّذِي يُضِيءُ لَكُمْ الْكَلِمَةَ يَسْتُخْدِمُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِيُؤَكِّدَ لَكُمْ فِي نَفُوسِكُمْ أَنَّكُمْ لَهُ وَأَنَّكُمْ حَقًّا أَوْلَادُ اللَّهِ.

الدكتور آر. سي. سبرول هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو (St. Andrews Chapel) في مدينة ساتفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح (Reformation Bible College). وهو مؤلف أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "كلنا لاهوتيون" و"أدهسني الألم".